بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة على محمّد وآله الطيبين الطاهرين

شرح إذن دخول حرم الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم والأئمة الأطهار عليهم السلام[1]

---

[1] الحمد لله رب العالمين و صلي الله علي محمّد و آله الطاهرين و لعنة الله علي اعدائهم اجمعين .

من أعظم النعم الإلهية على العباد أن هداهم للإيمان،ورغم أنه تعالى لا يمن على عباده بالنعم التي منحها إيّاهم رغم كثرتها ووفورها(وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)(إبراهيم/34). إلا أنّه تعالى قد منَّ عليهم بخصوص هذه النعمة العظيمة حيث قال تعالى :(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلْ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)(الحجرات/17). فيا ترى ما هو الإيمان ؟

قد ورد الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في معركة الأحزاب حيث قال في شأن علي عليه السلام:" برز الإيمان كله إلى الشرك كله" وقال تعالى :(وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ)(المائدة/5). وفي حديث الإمام الباقر والصادق عليهما السلام أنّ الإيمان هنا هو الولاية ، فلابد من أن نشكر هذه النعمة الجسيمة بمقدار المستطاع وذلك في مجالات ثلاثة وهي :

1- معرفة حقّهم .

2- محبتهم .

3- إطاعتهم

والإطاعة تعنى تجسيدالولاية في حياتنا وذلك بالعمل بتعاليمهم وبالصلاة عليهم وبزيارة مشاهدهم المشرفة فإنّ آثارها كبيرة ، وقد ورد في زيارة الجامعة الكبيرة : "وَجَعَلَ صَلَواتِنا عَلَيْكُمْ وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ طيباً لِخَلْقِنا، وَطَهارَةً لِأَنْفُسِنا، وَتَزْكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا "

فالزيارة تعني اللقاء وهو يعني الإرتباط المعنوي بالإنسان الكامل حيث يتحقق حضور الزائر لدى المزور ، والمشاهد الشريفة هي الوادي المقدَّس في البقعة المباركة لا يصح دخولها إلا بخلع النعلين والإبتعاد عمّا سوى الله تعالى ثمّ طلب الإذن ممّن يحومون في الحرم من الأنبياء والأولياء والملائكة ، وبما أننا لا نعرف كيف نستأذن ليؤذن لنا، فلذلك وردت عنهم عليهم السلام نصوص تبيِّن لنا أسلوب الإستئذان والدخول ، ومن أهمّها ما ورد في إذن دخول مسجد النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو أحد المشاهد الشّريفة لأحد الأئمة (عليهم السلام) .

هذا الكتاب هو سعي متواضع لشرح اذن دخول حرم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الهداة عليهم السلام بنحو مختصر لعلَّه يوضِّح بعض الفقرات العرفانية منه فيكون تأثيره في النفوس أوقع وبذلك يتهيأ الزوّار لزيارةٍ مقبولة ذات ثمرات روحانية وآثارٍ ربانية فتكون لهم ثواباً وأجراً ولنا وسيلةً و ذخراً .

إبراهيم الأنصاري البحراني

مولد الإمام العسكري 1427

اَللّـهُمَّ[1]
اِنّي وَقَفْتُ عَلى[2]

---

[1] لعلّ قوله "اللهم" يعني إشهد يا الله كما في قول الرسول(ص) " الست أولى بكم من أنفسكم قالوا : اللهم بلى " حيث يعني إشهد يا إلهي أنّنا نعترف بأن النبي هو أولى بنا من أنفسنا ، فهنا تجعل الله شاهداً بأن وقوفك هذا هو وقوف على بابٍ من أبواب بيوت النبي صلى الله عليه وآله ، وأمّا السر في ذكر اسم الجلالة في ابتداء إذن الدخول فباعتبار أنّ الله هو الذي أمرنا بزيارتهم والتوسُل بهم قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(المائدة/35).

(عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: من زار قبر ولدي علي كان له عند الله كسبعين حجة مبرورة، قال: قلت: سبعين حجة؟ قال: نعم وسبعين ألف حجة، قال: قلت: سبعين ألف حجة؟ قال: رب حجّة لا تقبل من زاره وبات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه...) العيون 295/2 ، أمالي الصدوق ص120

(وقال الإمام الصادق عليه السلام : من زار جدي الحسين كمن زار الله تعالى في عرشه ..)

[2] والوقوف هنا لا يعني القيام على الرجلين فقط وذلك لأن الوقوف جاءت مع الحرف (على) وتعني المعرفة والإطّلاع والفهم فإنّ الإرتباط بهذه البيوت يتطلّب المعرفة الكاملة بها ومن الواضح أنّ موطن المعرفة ليس هو الجوارح بل هو النفس والقلب ، وكأنّه يقول إلهي أنني قد اطلعت على باب من أبواب بيوت نبيِّك وهذا يعني أنّه

قد أقرّ واعترف بالإمامة التي هي باب النبوّة ولا يمكن الوصول إلى بيت النبوّة إلا بالمرور من خلال الأئمّة عليهم السلام ، وبما أنّ الأئمّة عليهم السلام قد وصلوا إلى مستوى الفناء في مقام النبوّة بحيث أنّهم جميعاً متحّدون من جهة الولاية وهم جميعاً مصاديق "لمحمَّد" كما ورد " أوّلنا محمّد، أوسْطنا محمد، آخرنا محمد،كلّنا محمّد " فلا بدّ إذن من الذوبان القلبي في فيهم وهم أولياء الله الذين لهم إشراف معنوي وولاية تكوينية على كافة النفوس الإنسانية وقد ورد في زيارة الجامعة الكبيرة (وأنفسكم في النفوس).

ومن هنا يمكننا معرف كلمة "إنّي" فهي ليست من الأنانية في شيء بل تعني كمال الإرتباط بين نفس المؤمن ونفوسهم ، وهذا الارتباط هو عين الفقر والفاقة إليهم باعتبار أنّهم عباد الله، كما أنّهم أيضاً فقراء إلى الله تعالى، فبالنتيجة تكون الزيارة هي إظهار الذل والعبودية إلى الله تعالى فقط (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (فاطر/15) وقد أكّد أئمتنا عليهم السلام هذه الحقيقة في كثير من الزيارات والأدعية خاصّة في الدعاء الوارد بعد صلاة زيارة الوارث لسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام حيث تقول:

(اَللّـهُمَّ اِنّي صَلَّيْتُ وَرَكَعْتُ وَسَجَدْتُ لَكَ وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ، لِاَنَّ الصَّلاةَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ لا تَكُونُ اِلاّ لَكَ لِاَنَّكَ اَنْتَ اللهُ لا اِلـهَ الاّ اَنْتَ، اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَاَبْلِغْهُمْ عَنّي اَفْضَلَ السَّلامِ وَالتَّحِيَّةِ، وَارْدُدْ عَلَيَّ مِنْهُمُ السَّلامَ، اَللّـهُمَّ وَهاتانِ الرَّكْعَتانِ هَدِيَّةٌ مِنّي اِلى مَوْلايَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلامُ، اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَعَلَيْهِ، وَتَقَبَّلْ مِنّي وَأَجُرْني عَلى ذلِكَ بِاَفْضَلِ اَمَلي وَرَجائي فيكَ وَفي وَلِيِّكَ يا وَلِيَّ الْمُؤْمِنينَ.)

كما أننا من خلال ذلك نعرف السرّ في الأحاديث التي تؤكّد على أنّ الزيارة المقبولة هي التي تكون مع العرفان وهي كثيرة نذكر بعضها تيمناً وتبرّكاً :

1- (عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله تعالى له في أعلى عليين)

2-(وقال عليه السلام : ومن زار قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقّه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة ، وألف عمرة مقبولة ، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) رواه الصدوق في أماليه : 386 ، والشيخ في أماليه 1: 66

3- (وقال عليه السلام : من زار قبر أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بحقه غير متجبّر ولا متكبّر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، وبعث من الآمنين وهوّن عليه الحساب واستقبلته الملائكة فإذا انصرف شيّعوه إلى منزله فإذا مرض عادوه وإن مات تبعوه بالاستغفار الى قبره)

لا حظ الجملة التي وردت في هذه الحديث "وبعث من الآمنين" فربَّما تشير إلى قوله تعالى (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ)(الحجر/46). فمن عرفهم فقد دخل من باب الرحمة بسلام وكلّ من لم يعرف حقَّهم فهو لا محالة يكون من التائهين وقد ورد في الحديث " مَنْ مات و لَمْ يَعْرِف إمامَ زَمانه ماتَ ميتةً جاهلية " ، وبما أنّ الجانب الأهمّ في الوقوف هو الجانب القلبي الباطني فلذلك لا تختص قراءة إذن الدخول بالزيارة في مشاهدهم عليهم السلام بل ينبغي أن نسأذنهم عليهم السلام حتّى لو كانت الزيارة من بعيد .

وهذا لا يعنى أنّ الوقوف الجسماني الظاهري لا تأثير له في الزيارة بل له دور كبير في حصول اللقاء المعنوي بين الزائر والمزور باعتبار أنّها شعيرة من الشعائر التي تنبأ عمّا في الضمير وتدلّ على ما في القلب ، قال

تعالى : (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج/32). فالمحبّ رغم ارتباطه القلبي بمحبوبه إلا أنّه يشتاق إلى زيارة محبوبه من قريب ليعيش في فناءه فإنّها الروضة حقاً .

وهذه المرتبة من الوقوف تتطلّب أموراً كمقدّمات وآدابٍ ذكرت في كتب الأدعية تفصيلا وقد تطرق إلى ثمان وعشرين من تلك الآداب المحدّث الكبير الشيخ عباس القمّي رضوان الله تعالى عليه في مفاتيحه نذكر بعضها:

1- الغُسل .

2- الطّهارة من الحدث الاكبر والاصغر .

3- أن يلبس ثياباً طاهرة نظيفة .

4- أن يسير وعليه السّكينة والوقار.

5- أن يتطيّب بشيء من الطّيب.

6- أن يشتغل لسانه وهو يمضي الى الحرم المطهّر بالتكبير والتّسبيح والتّهليل والتّمجيد،والصّلاة على محمّد وآله.

7- أن يقبّل العتبة العالية المباركة.

8- أن يكبّر اذا شاهد القبر المطهّر.

باب مِنْ اَبْوابِ[1]

---

[1] وأمّا الباب فلا يراد منه الباب الحسّي الظاهري الذي له مصراعان فقط بل هو الباب المعنوي الحقيقي الذي ذكره الله سبحانه في قوله (...لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (البقرة/189). وفي تفسير الآية المباركة ورد الحديث التالي في كتاب الإحتجاج للطبرسي:

عن الاصبغ بن نباتة قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاءه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين قول الله عز و جل: لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا فقال عليه السلام : نحن البيوت أمر الله أن تؤتى أبوابها، نحن باب الله وبيوته التي تؤتى منه، فمن بايعنا وأقرَّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا وفضَّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها، إن الله عز و جل لو شاء عرف الناس نفسه حتى يعرفونه و يأتونه من بابه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله، وبابه الذي يؤتى منه، قال: فمن عدل عن ولايتنا وفضَّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها، و إنهم عن الصراط لناكبون) وهذه الآية الأخيرة وردت في سورة المؤمنون حيث قال تعالى (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنْ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ)(المؤمنون73-74).

(وأيضاً عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام في حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : (ألا إنّ فاطمة بابُها بابي، وبيتُها بيتي ، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله) .

تلاحظ أنّه لم يقصد من الباب في الحديثين الباب الظاهري الحسيّ بالصراحة ، وإن أشار الحديث الأخير إلى ذلك ، وقد أبدع آية الله العظمى الشيخ محمد حسين الإصفهاني قدس سرّه في أرجوزته المعروفة في وصف باب الزهراء عليها السلام :(أيضرم النار بباب دارها *** وآية النور على منارها؟ ، وبابها باب نبي الرحمه *** وباب أبواب نجاة الأُمه ، بل بابها باب العلي الأعلى *** فثمّ وجه الله قد تجلّى).

وفي زيارة يوم عرفة : " اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا مَوْلايَ يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا مَوْلايَ أَنْتَ حُجَّةُ اللهِ عَلى خَلْقِهِ وَبابُ عِلْمِهِ" ، وجاء في الصّلاة على أمير المؤمنين عليه السلام) " اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيِّ بْنِ أَبى طالِبَ أَخي نَبِيِّكَ وَوَلِيِّهِ وَصَفِيِّهِ وَوَزيرِهِ، وَمُسْتَوْدَعِ عَلْمِهِ، وَمَوْضِعِ سِرِّهِ، وَبابِ حِكْمَتِهِ" وهي إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم وعلى بابها، و لا تؤتى المدينة إلّا من بابها، وأيضاً " أنا مدينة الحكمة وعلي بابها "

كما جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: " وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَالأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوى وَبابُ الْهُدى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقى ". فهم عليهم السلام أبواب جميع الفضائل والأخلاق الحسنة وقد ورد في زيارة الجامعة الكبيرة التي يزار بها جميعهم:" وَأَرْكانَ الْبِلادِ، وَأَبْوابَ الإيْمانِ" .

الباب المبتلى بها الناس:

ولكن الذي يبيِّن مرتبتهم السامية ودرجتهم الرفيعة في عالم الملك قوله في زيارة الجامعة الكبيرة : " وَالْبابُ الْمُبْتَلى بِهِ النّاسُ" فالناس جميعاً قد امتحنوا بمحمدٍ وآل محمّد كلٌّ حسب ظرفه وقابليته ، وقد وردت في الأحاديث

الكثيرة أنّهم باب حطّة كما في التوحيد باسناده الى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته: أنا باب حطته.

وفي روضة الكافى في خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام : (ألا وإنّي فيكم أيّها الناس كهارون في آل فرعون، وكباب حطة في بنى اسرائيل)

وهناك حديث في مجمع البيان (عن الباقر عليه السلام قال: نحن باب حطتكم) وهذه الأحاديث تشير إلى قوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة/58). وقوله تعالى (وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)(الأعراف/161)

وهذه الآية تشبه قوله تعالى (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)(البقرة/37).

فهناك تلقى آدم من ربّه أسمائهم حيث توسّل بهم كما تؤكّد الأحاديث على ذلك وبذلك تاب الله عليه وهنا أمرهم بأن يقولوا حطّة ويخضغوا ويتذللوا لهم ليغفر خطاياهم .

والمراد من "حطّة" هو ما يَحطّ الذنوب فلا تحطّ الذنوب إلا بالإرتباط بهم والتمسك بحبلهم والتضرّع إليهم فهم الوسيلة إلى الله تعالى.

والجدير أنّه ينبغي لنا أن نجسِّد حقيقة السجدة في قوله تعالى (وادخلوا الباب سجّداً) وذلك بتقبيل العتبة المباركة للإمام المعصوم شكراً لله تعالى على هذه النعمة كما ورد في إذن الدخول(ثمّ قبّل العتبة الشّريفة وادخل وقُلْ: بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ ...)

كيف لا وقد ذلّ كل شيء لهم كما في زيارة الجامعة الكبيرة (طَأَطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ، وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ، وَخَضَعَ كُلُّ جَبّارٍ لِفَضْلِكُمْ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ).

هذا كلّه بالنسبة إلى حقيقة الباب في عالم المعنى وعندما ننتقل إلى عالم الملك نشاهد الكثرة حيث تتعدد الأبواب فهي ثلاثة عشر باباً كلّها باب بيوت النبي صلى الله عليه وآله ، وكلُّ بابٍ له خصوصيّته التّى تميّزه عن سائر الأبواب، و بدخوله يرتبط الإنسان بشخص الإمام الذي تجلَّت فيه صفاتٌ خاصةٌ وظهرت فيه خلُقٌ معيَّنه بحيث لا يستغني الإنسان من زيارة سائر الأئمة بزيارة إمام واحد ، فلابد من طلب الحُسنِ عند الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وطلب الرضا في حرم ثامن الحجج عليه السلام والجود عند الإمام الجواد عليه السلام وهكذا كلّ إمام تتجلّى فيه صفاتٌ معيَّنة ويهدي إلى خلُقٍ خاصٍ فهم نجوم أهل السماء قال تعالى:(وَعَلاَمَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)(النحل/16)(عن ابى جعفر عليه السلام قال :

قال رسول الله صلى الله عليه إنّ الله جعل النجوم أماناً لأهل السماء، وجعل أهل بيتي أماناً لأهل الأرض.)

أبواب السماء :

ولا يخفى على من له قلب سليم أنّ أهل البيت عليهم السلام هم أبواب جميع الفيوضات الإلهيَّة النازلة من البارئ جلّ وعلا وهم الرحمة الواسعة وباب نجاة الأمّة من ظلمات الجهل والضلالة إلى نور المعرفة و الهداية فمن

بُيُوتِ نَبِيِّكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ[1]،

صدّقهم تنفتح له أبواب السماء ومن كذب بهم فلا قال تعالي (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)(الأعراف/40) فالتكذيب بآيات الله والإستكبار عنها يؤديان إلى عدم فتح أبواب السماء التي ينزل من خلالها الرحمة الإلهيَّة ، وياترى ما ذا يعني التكذيب بآيات الله ؟ وهل هناك آية أكبر من المعصومين عليهم السلام ؟ قد ورد في الحديث (عن علي عليه السلام : ما لله آية أكبر منّي)

والجدير بالذكر ما في حديث الإمام الصادق عليه السلام في قول الله: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ، نزلت في طلحة وزبير والجملُ جَملُهم).

[1] هذه الفقرة لأهميتها البالغة تحتاج إلى شرح مبسوط ، فقد عظّم الله سبحانه تلك البيوت في آيات كثيرة أهمُّها :

1- آية النور :

أعني قوله تعالى : (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ*رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ و ِإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ)(النور37،36)

وهي قد وردت بعد تلك الآية الكريمة ذات المحتوى العرفاني العميق حيث قال تعالى (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(النور35)

ومع التأمل في الأحاديث الشريفة التي وردت في تفسير الآية المباركة والآية التي بعدها، وملاحظة القرائن المحيطة بها، نعرف أن هذا ليس هو إلاّ مثالٌ يشير إلى حقائق أخرى ، فالأحاديث تؤكّد على أنَّ المصباح هو المصطفى (ص) وما ذكر بعد المصباح إشارة إلى الأئمة عليه السلام فعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام في تفسير الآية:

(أما بعد فان محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه فلما قبض النبي كُنّا أهل البيت ورثته فنحن أمناء الله في أرضه ... مثلنا في كتاب الله عزّ وجلّ "كمثل مشكوة" المشكوةُ في القنديل فنحن المشكوة " فيها مصباح " المصباح محمد صلى الله عليه وآله)

ومما يؤكد هذا المعنى قوله تعالى: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ)(الأعراف157) فعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: "الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّيّ الّذي يجدونه مكتوبا عندهم في التّوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطّيّبات ويحرّم عليهم الخبائث...إلى قوله... فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الّذي أنزل معه أولئك هم المفلحون" قال :

النور في هذا الموضع عليٌ أمير المؤمنين والأئمةُ عليهم السلام (الكافي ج1 ص194 روايه2)

ولا يخفى أنّ النور ظاهر بنفسه مظهر لغيره ، كما أنّ رؤية النور غير مفتقرة إلى شيء آخر رغم أنّ رؤية جميع الأشياء لا تتيسّر إلا بالنور ، وهكذا الأئمّة عليهم السلام ليسوا محتاجين للناس والعالم بأجمعه محتاج إليهم وقد أبدع خليل بن أحمد الفراهيدي صاحب علم العروض في كلمته في توصيف أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: (إحتياجُ الكل إليه واستغناؤه عن الكلّ دليلٌ على أنّه إمام الكل) عبقرية الإمام : ص 138 .

وأمّا الآية التي بعدها فهي قوله تعالى : (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ*رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ و ِإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) (النور36،37) فتلك الأنوار إنَّما هي في بيوت، وهي لا تعني المساجد المبنيّة من التراب والحجر والحديد وكلّها جمادات لا قيمة لها وإن كان شأن المسجد يختلف عن سائر البيوت في الدنيا والآخرة لإضافته إلى الله تعالى ، بل البيوت هنا تعني : بيوت الأنبياء و الأولياء التي هي مسكن للمعرفة والتوحيد والأسماء الحسنى الإلهية ، وهي بيوت روحانية معنويَّة لا علاقة لها بعالم المادة بل موطنها الحقيقي هو قلوب المؤمنين فإنّ قلب المؤمن عرش الرحمان ، وفي روضة الكافي عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز و جل : "في بيوت أذن الله أن ترفع" قال: هي بيوت النبي صلى الله عليه وآله.

وهذا قتادة – وكان فقيهاً عالماً لا يتزعزع أمام كبار العلماء– قد صرّح عند الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، حيث قال : صدقت والله، جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين!) راجع بحار الأنوار ج10 ص155 وأيضاً الكافي ج6 ص265 ح1

2- آية التطهير:

وهي جزء من قوله تعالى (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (الأحزاب/33) وهي ضمن الآيات من سورة الأحزاب/ 28-34 الذي تبدأ بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ ...)

بالنسبة إلى شأن نزول هذه الآية وردت في مصادرنا ومصادرهم رواياتٌ كثيرة أنّها خاصة بأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

ففي رواية أبي سعيد الخدري قال : لمّا نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة عليها السلام و علي تسعةَ أشهرٍ وقت كلّ صلاة فيقول : الصلاة يرحمكم الله إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهِّركم تطهيراً..)(بحار الأنوار ج 25 ص 212 باب 7)

وأمّا السرّ في وجود آية التطهير ضمن آيات نساء النبي هو الإرتباط بين نساء النبي (ص) وبين أهل البيت عليهم السلام.

فهناك مواجهة ستقع في البصرة بين أم المؤمنين عائشة وبين وليّ أمرها أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ عليه السلام وهي فتنة مضلّة تجرّ الكثير من المسلمين السُذّج إلى الانحراف أشار إليها الله سبحانه بقوله : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى) (الأحزاب/33) وكلمة القرّ تعنى البقاء المستمرّ في البيت كما أنّ التبرج يعني الظهور والبروز ، وحيث أنّ أهل البيت عليهم السلام لهم تعلّق برسول الله صلى الله عليه وآله ، بل تعلّقهم أشدّ من غيرهم فربما يتصوّر البعض بأن خطاب النهي عن الخروج من البيت يشمل فاطمة الزهراء

عليه السلام ويشمل كافة أهل البيت كما يشمل نساء النبيّ ، فمن أجل دفع هذا الوهم ولأجل التمييز بين فاطمة و بعلها وأولادها عليهم السلام وبين غيرهم من النسوة اللاتي ورد ذكرهنّ في الآيات قال : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)(الأحزاب/33) .

فالإرتباط بين صدر الآية وذيلها إنّما هو ارتباطٌ سياقيٌّ وتلاحمٌ هدائيٌ يعرفه كلّ من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

البيت لا بيوتكن !!

كم فرق بين البيت وبين بيوتكن، فأهل البيت عليهم السلام هم أهل بيت النبوة والرسالة والوحي والرحمة والكرامة والعصمة ، (ففاطمة وعلي والحسن والحسين في حظيرة القدس في قبة بيضاء سقفها عرش الرحمن عز وجلّ) كما في رواية عمر بن الخطاب عن الرسول صلى الله عليه وآله : (بحار الأنوار ج 43- ص 76- رواية 63- باب 3) . وأما "بيوتكن" فهي ظاهرية ترابية منتسبة إليهنّ كبشر.

ومن الطبيعي أن لا يسدّ رسول الله باب هذا البيت لأنّه ليس من بيوت الدنيا و لا تترتب عليه أحكام تلك البيوت ، ومن الجدير أن يكون محراب الرسول في تهجّده خلف بيت فاطمة عليها السلام ومن المناسب أن يدخل جبرائيل من باب ينفتح على بيت عليٍّ عليه السلام . والجدير ما ورد بعد آية التطهير (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) (الأحزاب/34) فتأمّل تعرف السر في صفتي "اللطيف" و "الخبير" في ذيل الآية المباركة.

بيت النبوة والرسالة و الرحمة:

وعلى ضوء ذلك يمكننا أن نعرف معنى قوله تعالى جواباً لسارة امرأة إبراهيم (قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) (هود72) فأجابها الملائكة : (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (هود73) لاحظ كلمة الرحمة فهي مطلقة غير مقيدة أصلاً وهي بإطلاقها مفاضة عليهم فقط ، وللتأكيد على أنَّ الرحمة المطلقة خاصَّة بهم بيّن سبحانه " أَهْلَ الْبَيْتِ". والبيت هو بيت إبراهيم النوراني المستمرّ في ذريته المحسنين، وقد ورد في الكافي حديث طويل عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن أبي جعفر عليه السلام ، يفسِّر الآية المباركة وأنَّها نزلت في شأن أهل البيت عليهم السلام فراجع (الكافي ج 8- ص 379).

كما أنّه قد ورد على لسان نوح عليه السلام : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدْ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا) (نوح/28). فهل يقصد من البيت ذلك البيت الصغير، فترى كم يستوعب من الناس؟ فما شأن باقي الناس التابعين له ألا يشملهم دعاؤه ؟ الحديث التالي يجيب على هذا السؤال (في أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا " يعنى الولاية، من دخل في الولاية دخل في بيت الأنبياء عليهم السلام) فمن ارتبط بإمام زمانه ارتبط بوارث نوح ووارث سائر الأنبياء على نبيّنا وآله وعليهم السلام ، وقد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله :(مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق)

وَقَدْ مَنَعْتَ النّاسَ اَنْ يَدْخُلُوا إلاّ بِإذْنِهِ، فَقُلْتَ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبيِّ إلاّ اَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ، [1]

---

[1] هذه الفقرة هي إستدلال قرآني لإثبات أنّه لابد من الإستئذان عند دخول المشاهد الشريفة حيث ورد في سورة الأحزاب النهى عن الدخول في بيوت النبي إلا بعد الإذن ، واللطيف أنّ الآية قد ورد فيها (بيوت) بصيغة الجمع ليشير إلا أنّه لا يختص النهي ببيت واحد مادّي فقط ، بل هو رغم كونه بيتاً واحداً معنوياً نورانياً مع ذلك هي بيوتٌ كثيرة متواجدة في الأزمنة والأمكنة المختلفة فهي في المدينة المنوَّرة و النجف الأشرف وكربلاء المعلا وبغداد و خراسان و سامراء.

وهناك آية أخرى لها علاقة بهذه الآية يمكن من خلالها أن نتعرّف على الشروط التي لابد أن تتوفّر في الإنسان حينما يدخل بيتاً ما ثم يمكننا تطبيقها على بيوت النبي بطريق أولى، قال تعالى :

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)(النور27،28).

فالآية الشريفة تركّز على أمورٍ :

1- لابد من الإذن حين الدخول.
2- لا يجوز الدخول إلا بعد الإستئناس.
3- من الضروري السلام على أصحاب البيت.

4- إنّ مراعاة هذه الأمور هو خير للإنسان.

5- في صورة عدم الإذن لابدّ من الرجوع.

6- مراعاة هذه السنن له تأثير كبير في تزكية النفس.

7- الله سبحانه وتعالى عليم بتصرفاتنا.

أقول : لو كان الدخول في البيوت العادية تفتقر إلى الإذن فكيف ببيوت أهل العصمة والطهارة عليهم السلام ، كما أنّه لابدّ من حصول الأستئناس بين المؤمن الموالي وبين الإمام عليه السلام قبل الدخول ، ولا يتحقق هذا الأنس إلا بالإنسجام معهم في كافة المجالات ثم بعد ذلك ينبغي السلام عليهم وبذلك يصل المؤمن إلى الخير كلّه كما يدعوا الله سبحانه لذلك في قنوت صلاة العيد(..اَنْ تُدْخِلَني في كُلِّ خَيْر اَدْخَلْتَ فيهِ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّد).

من الذي يأذن لنا بالدخول؟

قال " يؤذن لكم " فمن هو الذي يأذن للإنسان كي يدخل بيت النبي ؟ هل هو شخص واحد أم هناك أشخاص كثيرون ؟ بالطبع كلّ من له ارتباط معنوي بهذه الأماكن المطّهرة لا بد أن يأذن للزائر إبتداء من الله ثم الرسول ثمّ الأئمّة و الملائكة كما سنبيِّن ذلك.

وهل سيُؤذنُ للمنكر المعادي غير التائب المصّر على ارتكاب الذنوب الدخولُ في هذه المشاهد الشريفة؟
بالطبع لا يؤذن له إلا أنّه سيدخل لا محالة من دون أن يمنعه مانع حيث أنّ هذه البيوت مفتوحة على الجميع ولكن رغم دخوله فيها لا ينظر إليه نظرة رحيمة فلا يزيده ذلك إلا ضلالا وخسراناً مبينا كما هو القرآن الكريم

اَللّـهُمَّ إنّي اَعْتَقِدُ حُرْمَةَ صاحِبِ هذَا الْمَشْهَدِ الشَّريفِ[1] في غَيْبَتِهِ كَما اَعْتَقِدُها في حَضْرَتِهِ،[1]

حيث يقول سبحانه (وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا)(الإسراء/82). فالشرط الأوّل للإرتباط بهم هو الإيمان وهو أمر قلبي لا يحظى به إلا من اعتقد بهم ووالاهم وعادى من عاداهم فإنّ الإيمان كلّه هو الولاية التي برزت قبال الشرك كله يوم الأحزاب حيث قال الرسول صلى الله عليه وآله (برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه).

هذا : وهل الإذن يختص بزمن حياة النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام؟

لا شك أنّه يجرى حتّى في مماتهم أيضاً ، وحيث أن هناك من الجهلة بشأن المعصومين عليهم السلام من يشكك في هذه الحقيقة فلذلك ورد بعد ذلك .

[1] والحُرْمَة تعني ما لا يحلّ انتهاكه وهي شاملة لحرمتين:

1 . حرمة صاحب المشهد 2. حرمة المشهد .

وأمّا حرمة صاحب المشهد فهي من حرمات الله التي دلّت عليها قوله تعالى (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ..)(الحج/30).

وأمّا حرمة المشهد فهي من شعائر الله التي دلّت عليها قوله تعالى (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج/32).

فلهذه النسبة أعني بين المشهد وصاحبه أهميَّة كبيرة وأثر جسيم كما للقميص الخاص المنتسب إلى يوسف أثر في ارتداد بصر يعقوب حيث قال (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)(يوسف/93). ولا يخفى عليك ما في كلمة "هذا" من المعنى ، فالخصوصية لهذا القميص لا لغيره .

ومن هذا المنطلق تتحقق مشروعية تقبيل كلّ ما يرتبط بالإمام عليه السلام من ضريح مقدّس وبابٍ شريف وعتبة مباركة وأيضاً الإستشفاء بكلِ ما له إضافة ما مع ولي الله مهما صغر فلا يلام من يقبّل تراب زوّار الإمام الحسين عليه السلام ونعم ما قال الشاعر: (إذا شأت النجاة فزر حسيناً ** لقي تلقى الإله قرير عين، فإنّ النار ليس تمسُّ جسماً ** عليه غبار زوّار الحسين) وقد ورد في خصوص الإمام الحسين عليه السلام (إن الشفاء في تربته، واستجابة الدعاء تحت قبته، والأئمة من ذريته) المناقب، ج4، ص28

فلابد إذا من مراعاة حرمة صاحب المشهد وذلك من خلال مراعاة الآداب والأحكام المخصوصة التي تتعلق بالمشهد وقد مرَّت ولكن هناك آداب أهمّ ترتبط بصاحبه وهي الحب والعشق والولاء المتلازمة مع الإطاعة والإنقياد وتسليم الأمر إليه كما في زيارة الجامعة (وَقَلْبى لَكُمْ مُسَلِّمٌ، وَرَأيى لَكُمْ تَبَعٌ).

ولعل المقصود من المشهد هو محل حضور وشهود الأئمة عليهم السلام لأنّ الزائر في الحرم المطهَّر في مرئاهم ومسمعهم عليهم السلام كما سيأتي بعد ذلك ، فالشرف يعني العُلُوّ و المجد لأنّ المشهد الشريف مكان عال كما صرّح بذلك تعالى بقوله : (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

وَاَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَكَ وَخُلَفاءَكَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ[2] أَحْياءٌ عِنْدَكَ يُرْزَقُونَ،[1]

وَالآصَالِ)(النور/36). فالسر في شرف هذه البيوت يرجع إلى البعد المعنوي المخيِّم عليها والآثار الروحانية التي تحيط بها.

[1] غيبة الإمام وحضوره يرتبطان بحالاتنا نحن لا بحالاتهم فهم دائماً حاضرون ولديهم إشراف كامل و مستمرعلى أعمالنا بل وحتى على نوايانا وبواطن صدورنا وهم شهداء على الخلق أجميعين (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ...)(النحل/89). فكل الموجودات خاضعة لهم ذليلة بين يديهم فهم قادة كافة الأمم كما ورد في الزيارة الجامعة (وَقادَةَ الْأُمَمِ، وَاَوْلِياءَ النِّعَمِ) والأمم لا يقصد منها البشر فحسب بل تشمل جميع الموجودات حيث قال تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ...)(الأنعام/38) .

[2] والمقصود من الخلفاء هم خلفاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و هم الأئمة الأطهار عليهم السلام ولا فرق بين أن نقول خلفاء الله أو خلفاء رسول الله وذلك وباعتبار أنّ الرسول هو مظهر الأسماء الإلهيّة ، كيف لا وقد صرّح الباري عزّ و جلّ بذلك حيث قال (..وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ..)(الأنفال/17). ومن أجل ذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : من رآني فقد رأي الحق .

[1] هذه هي عقيدتنا نحن الشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام وهي عقيدة نابعة من القرآن الكريم حيث أكّد الله تعالى على ذلك حينما قال :

(وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)(آل عمران/169).

جاء في زيارة الامام الحسين(ع)في النصف من شعبان(أشهد أنك قتلت ولم تمت بل برجاء حياتك حييت قلوب شيعتك وبضياء نورك اهتدى الطالبون اليك) فإنّ كلّ قلب فيه ذكر الله فهو قلب سليم حي وما ليس فيه ذكر الله فهو عليل يوشك أن يموت مالم يتدارك بالعلاج فلو مات فلا يبقى له قلب فحينئذٍ قد انسلخ من مقام الإنسانية فهو كالأنعام بل أضل .

فإذن المراد من الحي هو الحياة الحقيقية المذكورة في الآية المباركة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)(الأنفال/24). وهي الحياة الطيّبة التّي جاءت في قوله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(النحل/97).

هذا :

وربّما يصل الإنسان إلى مستوى من الكمال بحيث يكون هو الذكرَ حقيقةً وهذا مقام الرسول صلى الله عليه وآله قال تعالى : (قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا،رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ ...)(الطلاق10-11). فرسول الله هو الذكر وأهل بيته هم أهل الذكر وهم المسئولون قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(النحل/43).

وهناك دليل آخر لحياتهم وهو:

أنّهم عليهم السلام مظهر للحق تعالى شأنه وقد اجتمعت فيهم أسماءه وصفاته جلّ وعلا ، ومن أسمائه هو أنّه الحي الذي لا يموت كما قال تعالى (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ ...)(الفرقان/58).

فعلى هذا الأساس هم أحياء لا يموتون أبداً قال تعالى (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ)(الرحمن26،27).وأيضاً (..لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(القصص/88). لأنّ الفناء والهلاك لا يقصد منهما الزوال والإنعدام بل ذوبان العاشق في المعشوق والمحبّ في الحبيب وهذا لا يحصل إلا للإنسان الكامل ، ولذلك جاء بصفتي "الجلال و الإكرام" حيث أنّ الإنسان هو مظهر الجلال والجمال دون سائر الموجودات وقال (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ)(الرحمن/78). و أيضاً حينما نفخ الروح في البشر قال (.. ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(المؤمنون/14).

فالحقيقة الإنسانية هي وجه الله الذي يتوجّه إليه الأولياء وهل هنا إنسان أكمل من المعصومين عليهم السلام ؟

جاء في تفسير قوله تعالى : «و يبقى وجه ربك» (قال الصادق (عليه السلام): نحن وجه الله.) في تفسير القمي وفي مناقب ابن شهرآشوب.

وجاء في دعاء الندبة (أين وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء أين السبب المتصل بين الأرض والسماء) فالأولياء يتوجهون إلى الحجّة سلام الله عليه ليصلون إلى ربّهم.

ولكن يا ترى ما الفرق بين رسول الله و أهل البيت عليهم السلام وبين سائر الشهداء؟

هذا ما بينته العبارة التي بعدها حيث ميّزتهم عن سائر الشهداء بأنّهم (يرون مقامي و يسمعون كلامي و يردّون سلامي).

يَرَوْنَ مَقامي، [1]

---

[1] باعتبار أنّ مقام الإنسان حينما يدخل حرم الإمام عليه السلام عظيم للغاية حيث أنّه بصدد الدخول في الوادي المقدَّس فربّما لا يدرك هذا المقام هو أيضاً إلا أنّ الإمام عليه السلام يرى مقامه هذا ويسمع كلامه ويرد سلامه.
وأما رؤية المقام فلا يقصد منه الرؤية الظاهرية فحسب بل الرؤية الحقيقية المعنوية فالإمام عالم بالسر والعلن وقد ثبت ذلك اعتقادياً، فإنّ كلّ من لديه علم لدنّي إلهي فهو مرتبط بعالم الغيب ، ذلك العالم مختصّ بالباري جلّ وعلا (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ...)(الأنعام/59). فهو تعالى للطفه بأهل البيت عليهم السلام منحهم هذه الموهبة وآتاهم ذلك الفضل الكبير وفي الزيارة الجامعة(آتاكُمُ اللهُ ما لَمْ يُؤْتِ اَحَداً مِنَ الْعالَمينَ) فاطلعهم على غيبه قال تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا)(الجن/26،27).
فممن ارتضى هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وهناك أشخاص آخرون تشملهم الآية ، وهناك أحاديث كثيرة تدلُّ على ذلك نكتفي ببعضها : (في الكافي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال وكان محمد صلى الله عليه وآله ممن ارتضاه) وفي حديث آخر (عن الرضا عليه السلام فيها، فرسول الله صلى الله عليه وآله عند الله مرتضى ونحن ورثة ذلك الرسول الذي اطلعه الله على ما يشاء من غيبه فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة) ومن لديه علم الغيب فبالطبع يرى أعمال الناس وقد دلّ على ذلك بالصراحة خصوص الآية المباركة (وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(التوبة/105) وقد كثرت الأحاديث في هذا المجال نكتفي بعدد منها (ففي أمالي شيخ الطائفة قدس سره بإسناده إلى عمر بن أذينة قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك قوله عزّ و جل: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) قال: إيّانا عنى .

(وفي الكافي باسناده عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجل: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون...قال: هم الأئمة) .

ولا يخفى أنّ ذلك غير مختص بوجود الرسول بين الناس حيّاً بل يشمل جميع الأزمنة حيث لا فرق بين حياته ومماته وقد ورد حديث في خصوص ذلك في تفسير علي بن ابراهيم باسناده قال:(عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله : مقامي بين أظهركم خيرٌ لكم، فإنّ الله يقول:(وما كان ليعذبهم وأنت فيهم) ومفارقتي إيّاكم خيرٌ لكم، فقالوا: يارسول الله مقامك بين أظهرنا خيرٌ لنا فكيف يكون مفارقتك خير لنا؟ فقال: أمّا مفارقتي إيّاكم خيرٌ لكم فلأنّه يُعرض عليَّ كلُّ خميس وإثنين أعمالكم ، فما كان من حسنة حمدت الله عليها، وما كان من سيئة استغفرت لكم).

وقد دل على ذلك قوله تعالى :

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)(الأنفال/33). والمقصود هنا من العذاب هو نزول البلاء الدنيوي عليهم حيث أنّ الآية التي قبلها هي (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)(الأنفال/32) فكما أن وجود الرسول بين الأمّة يمنع من نزول العذاب عليها فكذلك حين مماته لو استغفرت الأمّة ربّها لشملته الرحمة الواسعة الإلهيَّة ، والجدير بالذكر أنه قال " لِيُعَذِّبَهُمْ " ثم "مُعَذِّبَهُمْ" ولا يخفى الفرق بينهما فالأول فعل مضارع يشتمل على الزمان فهو محدود بزمن خاص وهو زمن وجوده بين الناس والثاني اسم فاعل لا زمان فيه بل يشمل كافة الأزمنة ذلك لأنّ الإستغفار مستمر غير متقيّد بزمن ما .

ولكن هاهنا سؤال يطرح نفسه وهو :

هل الذنوب تغفر من دون اللجوء إلى الرسول والأئمة الهداة عليه السلام ؟

القرآن هو الذي يجيب على هذا السؤال بقوله : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (النساء/64).

فكل من ظلم نفسه لابد وأن يتوسَّل بالرسول صلى الله عليه وآله فيستغفر الله تعالى، ولن يحظى بالتوبة إلا بعد أن إستغفر له الرسول وقد ورد ذلك في زيارة الرسول أيضاً (ففي الكافي بإسناده عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام ... ثمّ تأتي قبر النبى صلى الله عليه واله... إلى أن قال عليه السلام : اللهم إنّك قلت: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) وإنِّى أتيت نبيك مستغفراً تائباً عن ذنوبي وإنّي أتوجَّه بك إلى الله ربّي وربّك ليغفر ذنوبي)

الأنبياء يتوسلون بالنبي محمد(ص):

والظاهر أنّ كلّ من ظلم نفسه تشمله الآية المباركة فهي بمنزلة القاعدة العامة التي تندرج تحتها مصاديق كثيرة :

ومن جملة تلك المصاديق هما آدم وحواء على نبيّنا وآله وعليهما السلام حيث (قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ)(الأعراف/23) فهما توسّلا بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كما ورد في الحديث (فقالا: اللّهم إنّا نسألك بحق الأكرمَين عليك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إلاّ تبت علينا ورحمتنا، فتاب الله عليهما إنّه هو التوّاب الرحيم) ولذلك قال تعالى (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)(البقرة/37).

وكذلك ورد في شأن موسى عليه السلام (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)(القصص/16). وفي الحديث (بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) ، وفي حديث آخر : بحقّ محمّد وآل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم)

هذا : والظالم لنفسه لا يعني مرتكب الذنب بالمعنى المصطلح بل يشمل من هو دون العصمة المطلقة الكبرى فيشمل المعصوم غير المطلق فإنّ العصمة المطلقة عن كافة الأمور حتى النسيان والخطأ وغيرهما خاص لمن ورد في شأنهم (... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)(الأحزاب/33). ولذلك قال تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)(فاطر/32).

هذا :

بل كلّ من لم يصل إلى العصمة المطلقة لابد أن يلتجأ إلى المعصوم المطلق، والقرآن في آية التطهير بصريح القول يحصر العصمة المطلقة في أهل البيت عليهم السلام.

هذا والأنبياء جميعاً لم يصلوا إلى المدارج العرفانية إلا بالتوسل بهم والإعتصام بحبلهم.

سؤال يطرح نفسه وهو : أنّه ثبت التوسل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلّم ، فما شأن أمير المؤمنين والأئمة الهداة عليهم السلام؟ فهل يجوز التوسل بهم ؟

أقول في الجواب : : إنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو نفس الرسول .

ولذلك عندما نتحدّث عن أمير المؤمنين عليه السلام نتحدّث عن إنسان ملكوتي قد تجلَّت فيه كافة الصفات الإلهية بحيث صار مرآةً صافية لو نظرنا إليها فقد نظرنا إلى الخالق جلَّ وعلا كما هو رسول الله صلى الله عليه

وآله ، فالرسول هو السراج المنير الذي تشعشع منه النور الإلهي وهو الشمس المشرقة التّي نوَّرت العوالم أجمع بما فيه الإنسان ، فجميع النفوس هي شعاع من تلك النفس الكلّية التي كانت أوّل مخلوق إلهي، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام.

قال تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(آل عمران/61).

ولا شك أن قوله تعالى "وأنفسنا وأنفسكم" يعني أمير المؤمنين عليه السلام، ففي مناقب أميرالمؤمنين (عليه السلام) وتعدادها قال (عليه السلام) ـ واما الرابعة والثلثون ـ فان النصارى ادعوا أمراً فأنزل عزوجل فيه: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) فكانت نفسي نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) والنساء فاطمة، والأبناء الحسن والحسين.

وفي الحديث (ياعلي من قتلك فقد قتلني ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن سبّك فقد سبّني، لأنك منّي كنفسي، روحك من روحي وطينتك من طينتي) وأمّا في غزوة أحد فالعلماء قد اجتمعوا على أن جبرئيل قال : يا محمد إنّ هذه لهي المواساة من علي قال(ص): لأنّه مني وأنامنه)

ولعلّ من أسرار آية الصلوات أن اكتفت بالصلاة على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم بالضمير المفرد (صلّوا عليه) ، مما يدل أنهم نور واحد وحقيقة واحدة وهم بمنزلة نفس واحدة ، كما في متواتر الأخبار وفي بعضها : (أوّلنا محمّد ، وأوسطنا محمّد ، وآخرنا محمّد ، بل كلّنا محمّد) بحار الأنوارج 24 ص 251. وفي حديث آخر :(فلا تفرقوا بيننا ونحن اذا شئنا شاء الله واذا كرهنا كره الله)

قال الشيخ عباس القمي رضوان الله تعالى عليه في مفاتيح الجنان:

وَيَسْمَعُوَن كَلامي،[1]

(لو سأل سائل فقال : قد رُويت زياراتٌ مخصُوصة في يوم الميلاد ويوم المبعث لأمير المؤمنين صلوات الله عليه دُون النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان ينبغي أن تردّ فيها زيارة مخصُوصة لرسُول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) فكيف ذلك؟

أجبناه إنّما ذلك لما بين هذين القدوتين العظيمين من شدّة الاتّصال، ولما بين هذين النّورين الطّاهرين من كمال الاتّحاد بحيث كان مَن زار أمير المؤمنين عليه السلام كمن زار رسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويشهد على ذلك من الكتاب المجيد آية " أَنْفُسَنا "وهو في آية التّباهل نفس المصطفى ليس غيره إيّاها كما يشهد عليه من الاخبار روايات عديدة، منها ما رواه الشّيخ محمّد بن المشهدي عن الصّادق عليه السلام قال : انّ رجلاً من الاعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إنّ داري بعيد من دارك وإنّني اشتاق الى زيارتك ورؤيتك فاقدم إليك زائراً فلا يتيسّر رؤيتك فازور عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فيؤنسني بحديثه ومواعظه، ثمّ أعود مغتمّاً محزوناً لما أيست من زيارتك ، فقال : من زار عليّاً (عليه السلام) فقد زارني ومن أحبّه فقد أحبّني ومن عاداهُ فقد عاداني ، بلّغه عنّي إلى قومك ومن أتاهُ زائراً فقد أتاني، وإنّي مجزيه يوم القِيامة وجبريل وصالِح المؤمنين).

[1] هذا هو ذروة العشق حيث أنّ الموالين لهم يحسّون بأنّ الأئمة عليهم السلام يرون مقامهم أي يشاهدونهم وينظرون إليهم في تلك اللحظة الروحانية وهو جاؤوا للزيارة ثمّ يتدرج الأمر إلى مرحلة أعلى وهي أنّهم يسمعون كلامهم أي يلاحظون ويصغون إلى كلام شيعتهم وهم يستأذنون الدخول إلى مشاهدهم الشريفة وهذه الصفة

الربانيّة هي مظهر من مظاهر تلك الصفة الإلهية حيث نقول في صلاتنا حينما نقوم من الركوع "سمع الله لمن حمده" وما أعظمها من نعمة حيث يعلم العبد بأنّ مولاه يستمع إلى كلامه وهو يحمده !!

وأمّا الدرجة العظمى التي يكتسبها العاشق هي تكمن في أمر آخر وهو أنّهم "يردُّون السلام " فياترى هل هناك لذّة أعظم وأعلى منها .

رسول الله و فاطمة الزهراء و أمير المؤمنين و الأئمة الهداة عليهم صلوات الله يردّون سلامك !

وهل يردّون سلام كلّ من يسلّم عليهم ؟ لو نظرنا إلى هذا الأمر من منطلق الشريعة والفقه فلابد أن يردّوا سلام كلّ من يسلّم عليهم لأنّ هذا الأمر يندرج ضمن قوله تعالى (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا)(النساء/86).فهم عليهم السلام أوّل وأجدر من يطبّق الشريعة ، وأمّا لو أردنا أن نصل إلى حقيقة السلام من خلال الطريقة والسلوك فالأمر يختلف تماماً فلا يشمل السلام إلا من امتلك القلب السليم قال تعالى : (إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}(الشعراء/89) وكما في أصول الكافي باسناده عن سفيان بن عيينة قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: إلا من أتى الله بقلب سليم قال: السليم الذى يلقى ربّه وليس فيه أحدٌ سواه، قال: وكلُّ قلبٍ فيه شركٌ أو شكٌّ فهو ساقط).

ومن هنا يمكنك معرفة السرّ المتواجد في زيارة الجامعة الكبيرة حيث نخاطبهم عليهم السلام بقولنا (وَجَعَلَ صَلَواتِنا عَلَيْكُمْ وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ طيباً لِخَلْقِنا) فطيب الخلق وصفاء الباطن وسلامة النفس لا تحصل إلا من خلال الولاية ولا يسلّم الله على عبدٍ إلا بعد أن يسلم قلبه ويصفى باطنه وحينئذٍ سيشمله قوله تعالى(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا

وَيَرُدُّونَ سَلامي، وَاَنِّكَ حَجَبْتَ عَنْ سَمْعي كَلامَهُمْ،[1]

خَالِدِينَ)(الزمر/73). ويكون تحت ظل السابقين المقربين الذي ورد في شأنهم (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ،أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)(الواقعة10-11). إلى أن قال (لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا،إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا)(الواقعة25-26).

[1] وهل هناك منّا من يسمع كلامَهم ويُدرك ردَّ سلامهم؟

ربما، ولكن الشرط الرئيس لذلك هو رفع الحجب عن النفس سواء الحجب الظلمانية أو النورانية كيما يحصل الإنقطاع الكامل إليهم و الفناء فيهم ، كما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في شأن جابر بن عبد الله الأنصاري(كان رجلا منقطعاً إلينا أهلَ البيت) وبذلك يحصل الإنقطاع إلى الله وهذه موهبة إلهيَّة لا يحظى بها إلا ذو حظٍّ عظيم وقد ورد في المناجاة الشعبانية (إلـهي هَبْ لي كَمالَ الانْقِطاعِ اِلَيْكَ، وَاَنِرْ اَبْصارَ قُلُوبِنا بِضِياءِ نَظَرِها اِلَيْكَ، حَتّى تَخْرِقَ اَبْصارُ الْقُلُوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلَ اِلى مَعْدِنِ الْعَظَمَةِ) فمعدن العظمة هو ربّ العالمين ، ولكن هذه العظمة الإلهية قد تجّلت في الكون من خلال مرورها بالوسائط بينه تعالى وبين الخَلق أجمع ، وهل هناك من هو أقرب من محمّد وأهل بيته الطاهرين إلى الله تعالى كي يكون واسطة الفيض الإلهي إلى العالمين ؟

قد ورد في شأن نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم : (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(القلم/4). فهو المتخلّق بأخلاق الله حقّاً وكذلك أهل بيته الطاهرين ولذلك وقد ورد في وصفهم عليهم السلام أنهم (مَعْدِنَ الرَّحْمَةِ) وفي موطن آخر أنّهم معدن الحق كما في قوله (وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَاِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ) وكذلك هم معدن الخير (اِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ اَوَّلَهُ وَاَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ).

وَفَتَحْتَ بابَ فَهْمي بِلَذيذِ مُناجاتِهِمْ[1]، وَاِنّي اَسْتَأذِنُكَ يا رَبِّ أوَّلاً وَأَسْتَأذِنُ رَسُولَكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثانِياً،[1]

ومن الواضح أن الرحمة المطلقة والحق المحض والخير اللامتناهي هو الباري جلّت عظمته قال تعالى (..كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ..)(الأنعام/12). وقال (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ...)(الحج/6). وقال (.. بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(آل عمران/26) فكيف نجمع بين الزيارات والآيات وهما من مصدر واحد بالأصالة وإنْ كانت أحداها من الثقل الكبير والثانية من الثقل الأكبر أو كانت إحداها من (إمام مبين) والثانية من (كتاب مبين)؟

والجمع بينهما واضح لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد حيث أن أهل البيت عليهم السلام عباد الله ولكنّهم قد لشدّة عبوديتهم قد وصلوا إلى مستوى صاورا مظهراً تامّاً للأسماء الحسنى والصفات العليا فهم وجه الله وعينه ويده . وفي الحديث " لايزال يتقرّب اليّ عبدي بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يأخذ بها ".

وفي الحديث " عليٌ عين الله ويد الله " وفي الحديث :" نحن أسماؤه الحسنى".

فالوصول إلى مستوى خرق الحجب لا يتأتى إلا للأوحدي من العباد.

[1] ولكن رغم ذلك فإن باطن المؤمن أيٍ كان يتمتع بلذيذ مناجاتهم عليه السلام رغم عدم سماعها ، وهذه الحالة يحسّ بها كلّ من يتشرّف لزيارتهم عليهم السلام ولذلك لأنّه قد دخل في الروضة المباركة وهذه اللذة هي معنويّة بحتة تفيض من مناجاة الأئمة عليهم السلام قد أشير إليها في زيارة أمين الله في قوله عليه السلام (وَمَوآئِدَ الْمُسْتَطْعِمينَ مُعَدَّةٌ وَمَناهِلَ الظِّمآءِ مُتْرَعَةٌ) فما هي هذه الموائد ، والمناهل ؟ في مصباح الشريعة في (قال الصادق عليه السلام : إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قصدت باب بيت ملكٍ عظيم لا يطأ بساطه إلا المطهَّرون

... إلى أن قال ... وانظر من أي ديوان يخرج اسمك ، فان ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن إقباله عليك وإجابته ، فقد صلحت لخدمته ، فادخل ، فلك الأمن والأمان)

فما هو هذا الكأس هل هو مادي أم معنوي ؟ لعلّه هو كأس الحب وهو الشراب الحقيقي الذي يروي العطشان فلا يظمأ ويسقى به المؤمن وهو في هذه النشأة قال تعالى ((إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا)(الإنسان/5). ثمّ عند خروج روحه ، كما نشاهد في عاشوراء عندما قطَّعوا علي الأكبر إرباً إرباً (قال رافعاً صوته يا أبتاه هذا جدي رسول الله صلى الله عليه و آله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً و هو يقول العجل العجل فإنَّ لك كأساً مذخورةً حتّى تشربها الساعة) وهذا هو الرزق الذي جاء في قوله تعالى (وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ...)(البقرة/25). وهذا النمط من الطعام يتنعم به الملائكة حيث ورد في الحديث(إن الملائكة طعامهم التسبيح و شرابهم التقديس) بحار الأنوار ج26 ص 348 وأيضا كان رسول الله يتنعّم من تلك الأطعمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم (إني لست كأحدكم إنِّي أظل عند ربى يطعمني ويسقيني) بحار الأنوار ج 16 ص 389

ولذلك ينبغي الإستئذان كما في الفقرة التالية.

[1] والإستئذان يكون من الله ورسوله والزهراء والأئمة عليهم السلام ومن الملائكة المقرّبين ، نلاحظ أنه قد ركّز على التسلسل في الإذن فالربّ أولا والرسول و الخليفة ثانياً والملائكة ثالثاً.

فلماذا جاءت هنا كلمة الرب ؟ علماً بأنه بعد ذلك يقول أأدخل يا الله ؟

ربما يكون السبب في ذلك هو أنّ المؤمن يترقّى من مرحلة إلى مرحلة أخرى فعند وقوفه خارج الحرم المطهّر يكون في أجواء من عالم التعدُّد والكثرة ثمّ يتدرج إلى عالم التوافق والوحدة .
فهو في البداية وحيث يمرّ من عالم المُلك والظاهل يتوسَّل بصفات الفعل لترتقي به إلى عالم الملكوت والباطن بل الجبروت والذات ، ففي هذه المرحلة يرى نفسه عبداً فقيراً ضالاً تائهاً فيطلب من ربِّه و سيّده أن يأخذ بيده و يربِّيه ليوصله إلى كعبة آماله وغاية رجاه فيبدأ بالرب ويقول (وَاِنّي اَسْتَأذِنُكَ يا رَبِّ أوَّلاً) فيركّز على الأولية ولا تعني أنّه تعالى ليس بآخر بل (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ...)(الحديد/3).

ثم يتوسّل بوجه الربّ فيقول (وَأَسْتَأذِنُ رَسُولَكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثانِياً) وبهذا الإعتبار لا ضير أن يكون عبداً للرسول والأئمة عليهم السلام لأنّه لا ينظر إليهم نظرة مستقلّة بل نظرته متمحّضة في أنّهم وسيلة إلهيّة تكوينية وتشريعيّة يوصلونه إلى ربّ العالمين، ولذلك ورد في إذن آخر لدخول حرم الأئمة عليهم السلام:

(يا مَوالِيَّ يا اَبْناءَ رَسُولِ اللهِ، عَبْدُكُمْ وَابْنُ اَمَتِكُمُ الذَّليلُ بَيْنَ اَيْديكُمْ، وَالْمُضْعِفُ في عُلُوِّ قَدْرِكُمْ، وَالْمُعْتَرِفُ بِحَقِّكُمْ، جاءَكُمْ مُسْتَجيراً بِكُمْ، قاصِداً اِلى حَرَمِكُمْ، مُتَقَرِّباً اِلى مَقامِكُمْ، مُتَوَسِّلاً اِلَى اللهِ تَعالى بِكُمْ، أَأَدْخُلُ يا مَوالِيَّ، أَأَدْخُلُ يا اَوْلِياءَ اللهِ، أَأَدْخُلُ يا مَلائِكَةَ اللهِ الْمُحْدِقينَ بِهذَا الْحَرَمِ الْمُقيمينَ بِهذَا الْمَشْهَدِ .)

وأمّا لماذا جاءت كلمة الرسول ولم تأتي كلمة النبي؟

ذلك لأنّ الرسول بما هو رسول له شأن عظيم ومرتبة سامية ومسئولية خطيرة وهي إعلان الولاية للناس بدليل قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ) (المائدة/67)

والآية تتعلَّق بواقعة الغدير المتواترة لدى الفريقين. ومن الواضح أنَّ الخطاب بقوله(يا أيُّها الرسول) بدلاً عن سائر صفاته (ص) هو دليل على أنَّ الرسالة هي التِّي لها هذا الاقتضاء والشأن ، وأنَّ تبيين الولاية هي أهم أهداف الرسالة ولذلك قال (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)

فرغم أنّ محمداً صلى الله عليه وآله كان خاتم النبيين ولكن لو لم يبلِّغ رسالته بتنصيب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لما كان يتحقَّق الغرض من رسالته، لأنّ الولاية هي من صميم تلك الرسالة فإذن من أولويات شئون الرسالة هو تعريف الإمام و تنصيبه للناس الذي من خلاله تنزل الفيوضات الإلهيَّة ويبقى الوحي من ربِّ العالمين مستمرّاً لا انقطاع له.

ومن هذا المنطلق يمكننا معرفة قوله : (وَاَسْتَأْذِنُ خَليفَتَكَ الْإِمامَ الْمَفْرُوضَ عَلَيَّ طاعَتُهُ) حيث ذكر فيها "الخلافة" ، وبذلك يتحقّق التناسب بين الرسالة وبينها.

وَاَسْتَأذِنُ خَليفَتَكَ الإِْمامَ الْمَفْرُوضَ عَلَيَّ طاعَتُهُ (فُلانَ بْنَ فُلان)) واذكر اسم الإمام الذي تزُوره واسم أبيه ، فقل في زيارة الحسين "عليه السلام" مثلاً : الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ وفي زيارة الإمام الرّضا "عليه السلام" عَلِيِّ بْنَ مُوسَى الرِّضا عَلَيْهِ السَّلامُ وهكذا)[1]

---

[1] قد ذكر الخلافة الحقيقية المتجلية والظاهرة بوجود الإمام المفروض علينا طاعته ، فلماذا التأكيد على هذه الصفة؟

هذا ما يدلّ على أن كلّ إمام له هذه الخصوصيّة حتى في عصر الغيبة الكبرى لمهدي الأمّة قائم آل محمّد أرواحنا فداه ، فعندما تدخل حرم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فهو في تلك اللحظة إمامُك المفروض عليك طاعته فينبغي أن تأتمر بأوامره وتنتهي بنواهيه، وهكذا بالنسبة إلى حرم سائر الأئمّة عليهم السلام ، ومن هنا ينفتح لنا بابٌ وسيع في فلسفة زيارة الأئمة عليهم السلام كلٍّ على حده حيث أنّه عندما نتعايش مع عالم الكثرة و الخلق ينبغي لنا أن نعرف خصوصية كلّ إمام من خلال الزيارة الخاصة به، ذلك من أجل إطاعته المفروضة علينا، وهذا الأمر لا يتنافى مع تلك العقيدة الفذّة التي نؤمن بها وهي أنّهم عليهم السلام حقيقة واحدة روحاً ونوراً وطينةً كما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة (وَاَنَّ اَرْواحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطينَتَكُمْ واحِدَةٌ، طابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعْض).

وقد ذكر الإمام الخميني دليلا على أنّ إطاعتهم مفروضة قال :

(إنّما يجب طاعتهم لأجل أمر الله تعالى بها في قوله : أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، ولجعل السلطنة والولاية لهم من قبله تعالى ولو لا ذلك لم تجب ، لأنّ السلطنة والولاية مختصة بالله تعالى بحسب حكم

العقل فهو تعالى مالك الأمر والولاية بالذات من غير جعل وهى لغيره تعالى بجعله ونصبه ، وهذه السلطنة والخلافة والولاية من الأمور الوضعية الاعتبارية العقلائية فالسلطنة بشئونها وفروعها لهم من قبله تعالى ولا يجوز لأحد التصرف فيها وتقلّدها أصلاً وفرعاً ، لأنّ تقلّدها غصبٌ والتصرف فيها وفى شئونها كائنة ما كانت تصرُّفٌ في سلطان الغير .)[1]

(وفي عيون الأخبار في باب العلل التى ذكر الفضل بن شاذان أنّه سمعها من الرضا عليه السلام مرة بعد مرة وشيئاً بعد شئ ، فإن قال : فلم جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم ؟ قيل : لعللٍ كثيرةٍ:

منها: ان الخلق لمّا وقفوا على حدٍّ محدود وأُمروا ألاّ يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ، ولايقوم إلاّ بأن يجعل عليهم فيه أميناً يمنعهم من التعدّى والدخول فيما حظر عليهم لأنّه لو لم يكن ذلك كذلك لكان أحدٌ لايترك لذته ومنفعته لفساد غيره ، فجعل عليهم فيما يمنعهم من الفساد ، ويقيم فيهم الحدود والأحكام.

ومنها: إنّا لانجد فرقةً من الفرق ولاملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيّم ورئيس لما لابد لهم منه في أمر الدين ، فلم يجز في حكم الحكيم أن يترك الخلق ممّا يعلم أنّه لابد لهم منه ولا قوام إلا به ، فيقاتلون فيه عدوّهم ويُقسّمون به فيئهم ، ويقيم لهم جمعتهم وجماعتهم ، ويمنع ظالمهم من مظلومهم .)

أقول :

إنّ قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ....)(النساء/59). يدل على أن أولي الأمر لا بد وأن يكونوا معصومين من الزلل ، بدليل أنّ هذا الأمر أعني "أَطِيعُوا اللَّهَ" يتلازم مع نهيٍ

ثمّ قل: وَالْمَلائِكَةَ [1]الْمُوَكَّلينَ بِهذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ[1] ثالِثاً، أَاَدْخُلُ يا رَسُولَ اللهِ، أَاَدْخُلُ يا حُجَّةَ اللهِ أَاَدْخُلُ يا مَلائِكَةَ اللهِ الْمُقَرَّبينَ الْمُقيمينَ في هذَا الْمَشْهَدِ[2]، فَأَذَنْ لي يا مَوْلايَ في الدُّخُولِ اَفْضَلَ ما أَذِنْتَ لأَحَد مِنْ أَوْلِيائِكَ[3]، فَإِنْ لَمْ اَكُنْ أَهْلاً لِذلِكَ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذلِكَ

هو "لا تعص الله أبداً" وكذلك "أَطِيعُوا الرَّسُولَ" تستلزمه نهيٌ آخر هو "لا تعص الرسول أبداً" ، وعلى هذا الأساس لو قلنا بأنَّ أولي الأمر لا تشترط فيه العصمة فهذا يعني أنَّه ربَّما يعصي الله تعالى في بعض الحالات وهذا هو التناقض في الكلام لا يصدر من البشر فكيف من الله تعالى ؟

فالنتيجة: أنَّ أولي الأمر لا بدَّ وأن يكونوا معصومين منصوبين من قبله جلّ وعلا.

[1] إنّ الإيمان بالملائكة من أصول عقائد المؤمن قال تعالى:(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...)(البقرة/285). ومن ينكر الإيمان بهم فهو متورط في الضلال البعيد لقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا}(النساء/136).

وأمّا الملائكة الموكّلون بالإنسان فقد ورد في الحديث أنّهم عشرة نذكر بعضهم ، فملكٌ على يمين الإنسان للحسنات وملك على شماله للسيئات (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)(ق/18). و ملكان بين يدي الإنسان ومن خلفه(لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ..)(الرعد/11). و ملك قابض على ناصية الإنسان .وفي الحديث :" فاذا تواضعت لله عزّ وجلّ رفعك ، واذا تجبرت لله فضحك " وأيضاً ملكان على شفة

الإنسان ليس يحفظان عليه إلا الصلوات على محمد صلى الله عليه وآله وسلّم قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)(الأحزاب/56).

[1] أمّا السبب في وجود ملائكة موكّلين بحرم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة عليهم السلام فيرجع إلى قصّة طويله لها علاقة ببداية خلق آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام وبداية جعل الخلافة في الأرض ولذلك نشاهد أنّ ذكر الملائكة جاء بعد ذكر الخلافة مباشرة ، فأراد أن يبيّن أنّ هناك علاقةً وثيقة بين وجود الخليفة الإلهية وبين ملائكة الله.

شرح الموضوع بنحو يتناسب و هذا الكتاب :

قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)(البقرة/30). والظاهر أنّه ليس المراد أنّ آدم بنفسه هو الخليفة في الأرض بل كان خلق آدم من أجل تلك الخلافة التّي سوف يمنحها ويجعلها سبحانه لبعضٍ من وُلده وهم الخُلَّص من عباده بنحو مطلق وبالطبع هم نور واحد وحقيقة فاردة وإن تكثّروا في عالم الطبيعة ولذلك قال "خليفة" لا "خلائف".

كما أنّ قوله "جاعل" دال على أن الخليفة لم يخلق حين خلق آدم بل جعله الله في الأرض من خلال خلق آدم ومن الواضح أن الجعل شئٌ والخلق شئٌ آخر .

قالت الملائكة (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ)(البقرة/30). هذا ليس من الإحتجاج بل هو سؤال محض حيث أنّ الملائكة (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ

يَعْمَلُونَ)(الأنبياء/27). وفي الحديث (يا ربِّ إن كنت ولابدَّ جاعلاً في أرضك خليفةً فاجعله منّا)[1] و الله تعالى أجابهم (قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)(البقرة/30). فلم يُنكر سبحانه تلك الأمور أعني الإفساد في الأرض وسفك الدماء كظاهرة سوف تصدر من هذا البشر ، ولكنه بيَّن للملائكة أنَّهم جاهلون بما يعلمه هو .

وههنا يتوجَّه سؤال وهو: ماذا كانت تجهله الملائكة ؟

قال (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)(البقرة/31). (قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)(البقرة/32). (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)(البقرة/33). فالله سبحانه علّم آدم جميع أسماء الموجودات كما يستفاد من ظاهر الآية و تؤكد عليها الأحاديث ، ولكن حيث أنّه لم تكن لجميع هذه الأسماء علاقة بمقام الخلافة الإلهيّة نجد أنَّه تعالى خصَّ بالعرض قسما مميَّزاً منها ، أعني مسمَّياتها ومصاديقها ، وبطبيعة الحال كانت لتلك المُسميّات علاقةً بالمهمِّ أعني "الخلافة" التِّي كان سبحانه بصدد إفهامها للملائكة وذلك من أجل إثبات فلسفة خلق آدم عليه السلام .قال(ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ)(البقرة/31). تأمَّل في الضمير " هم " فإنَّه لو كانت الأسماء هي المعروضة على الملائكة دون المسمَّيات أو المسميات التِّي لا تمتلك التعقُّلَ لكان التعبير الصحيح هو " عَرضَها " لا " عَرضَهُم".

كذلك لاحظ قوله تعالى (فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)(البقرة/31). من الواضح أنَّ كلمة هؤلاء لا تعني الموجودات من الجبال والشعاب والأودية والنبات والشجر ؟! .

"بل إنَّما هي أسماء من سيَأتون على الأرض من ذريَّة آدم وبوجود تلك الذرِّية يمكن تبرير خلق آدم (ع) وجعله خليفة في الأرض ، وبهم تُجبَر جميعُ المفاسد التِّي سوف يرتكبها بعضُ أولاد آدم، ولا يخفى أنَّ كلمة "هؤلاء" تدلُّ على حضورهم بعينهم آنذاك وهم بعرشه محدقين ".

ولعلَّ قوله عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة "وأسمائكم في الأسماء" إشارة إلى هذه الحقيقة حيث كانت أسمائهم في الأسماء التِّي علَّمها الله آدم (ع).

وعندما أظهر الملائكة جهلهم بالأمر: (قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)(البقرة/32). أكَّدوا على أنَّ الله هو العليم الحكيم وهذا يدلُّ على أنَّهم كانوا يرغبون في معرفة تلك الأسماء إن اقتضت الحكمة الإلهية .

وهنا يأتي دور الخطاب الموَّجَه إلى آدم (ع) وهو نهاية المطاف وآخر مراحل الحديث مع الملائكة ومن خلال هذا الخطاب وجوابه وصل الملائكة إلى درجة الاطمئنان إن صحّ هذا التعبير بخصوص الملائكة .

(قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)(البقرة/33).

والملائكة أرادوا الإعتذار والرجوع إلى ربّهم وإلى الخليفة في الأرض فياترى ماذا فعلوا ؟

في البداية (فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ)(الحجر/30). وذلك سجود اعتذار وخضوع واحترام وتسليم ثم لم يكتفوا بذلك بل أخذوا يطوفون حول العرش الإلهي ثمّ يزورون الكعبة ثم حرم الأئمة عليهم السلام والأحاديث في هذا المجال كثيرة نكتفي بحديث واحد من كتاب الكافي المجلّد 4 الصفحة 588 (عن داود الرّقي قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السّلام) يقول : ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة ، إنه لينزل من السماء كلّ مساءٍ سبعون ألف ملك

يطوفون بالبيت ليلتهم ، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبرالنبي (صلّى الله عليه وآله) فيسلمون عليه ، ثم يأتون إلى قبر أمير المؤمنين(عليه السّلام) ويسلّمون عليه ثم يأتون إلى قبر الحسن (عليه السّلام) ويسلمون عليه ، ثم يأتون قبر الحسين (عليه السّلام) ويسلمون عليه ، ثم يعرجون إلى السماء من قبل أن تطلع الشمس ، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك فيطوفون في البيت الحرام نهارهم ، حتى إذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر النبي (صلّى الله عليه وآله) ويسلمون عليه ، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السّلام) فيسلمون عليهم ، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن يغيب الشفق).

وفي الزيارة الجامعة (اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ)

قال السيد الإمام الخميني قدّس سرّه :

(من ضروريات مذهبنا أنه لا يصل أحد إلى مراتب الأئمة – عليهم السّلام – المعنوية، حتى الملك المقرّب، والنّبي المرسل. وفي الأساس فإن الرّسول الأكرم – صلّى الله عليه وآله وسلّم – والأئمة – عليهم السّلام – – وبحسب رواياتنا – كانوا أنواراً في ظل العرش قبل هذا العالم، وهم يتميزون عن سائر النّاس في انعقاد النطفة "والطينة". ولهم من المقامات إلى ما شاء الله، وذلك كقول جبرائيل – عليه السّلام – في روايات المعراج: " لو دنوت أنملة لاحترقت" (بحار الأنوار ج18 ص 382)، أو كقولهم – عليهم السّلام – " إن لنا مع الله حالات لا يَسعُها ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ" (أربعون العلامة المجلسي ص 177 وبصائر الدرجات ص 23 باب 11)انتهى) .

ونعم ما قال الشاعر العربي أبو نؤاس ، الحسن بن هاني في حق مولانا ثامن الحجج الامام علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء : (قيل لي انت اوحد الناس طراً ، في فنون من الكلام النبيه ، فعلى م تركت

مدح ابن موسى ، والخصال التي تجمعن فيه ، قلت لا اهتدي لمدح امام كان جبريل خادما لابيه)(سير اعلام النبلاء: ج9 ، ص389).

[1] الجدير أنّ هناك عبارتين إحداها : " الْمَلائِكَةَ الْمُوَكَّلينَ بِهذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ ثالِثاً" والأخرى " أَأَدْخُلُ يا مَلائِكَةَ اللهِ الْمُقَرَّبينَ الْمُقيمينَ في هذَا الْمَشْهَدِ"

هنا نطرح ثلاثة أسألة متتابعة :

الأوّل: ما الفرق بين الملائكة الموكّلين والملائكة المقربين؟

الثاني: ما هو السرّ في مجيء كلمة "البقعة" في الأولى و "المشهد" في الثانية؟

الثالث: كيف تكون البقعة مباركةً ؟

الجواب على هذين السؤالين يعتمد على معرفة معاني الكلمات الواردة فيها ثمّ مراجعة الآيات والأحاديث المرتبطة بها فأقول:

قد وردت كلمة "البقعة" في قوله تعالى (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (القصص/30) و البقعة تعني القطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها .

فالبقعة لها صبغة ظاهرية مُلكيَّة وهي من عالم الكثرة دون المشهد الذي قدّ مرّ أنّه محل الشهود والحضور الذي هو من عالم الوحدة وموطنه عالم الملكوت الأعلى بل الجبروت ، فمن الممكن الدخول في بقعة الإمام عليه السلام ولكن الوصول إلى مشهده يعتمد على الصفاء الروحي من خلال إدراك التوحيد والفناء في الله تعالى.

ومن هنا يمكننا معرفة الفرق بين الملائكة الموكَّلين والملائكة المقربين ، فالمجموعة الأولى مسؤوليتها الحفاظ على البقعة المباركة حيث أنّ البقعة موجود مادي ، وكلّ شئ في عالم التكوين قد وكِّل بمَلك من الأملاك حتّى قطرات المطر النازلة من السماء فكيف بحرم المعصومين عليه السلام وأمّا المجموعة الثانية فتنحصر في الملائكة التّي لها شأن خاص ومرتبة عالية وهي التي لها مقام القرب الإلهي (الملائكة المقربون) وربّما تنحصر في جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل عليهم السلام فهم ليسوا موكّلين بالبقعة المباركة بل هم مقيمون في المشهد الشريف وبطريق أولى لهم إشرافٌ كاملٌ على البقعة أيضاً.

هذا الفرق بين البقعة والمشهد وبين الملائكة الموكّلين والملائكة المقرّبين هو الذي أدّى إلى اختلاف التعبير ففي البداية توسّل باسم الربّ وقال (وإنّي أستأذنك يا ربّ أوّلا) ثم انطلق إلى الإسم الأعظم وقال(أ أدخل يا الله) وقد تطرّقنا إلى الفرق بينهما قبل ذلك أيضاً.

وأمّا بخصوص السؤال الأخير فنقول :

إنّ البركة تعني الخير الكثير، فالمباركة ما يفاض الخيرُ الكثيرُ عليها وبطبيعة الحال ينتشر الخير منها إلى العالم أجمع وأهل البيت عليهم السلام هم المصداق الأوّل للخير الكثير جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة (اِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ اَوَّلَهُ وَاَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأويهُ وَمُنْتَهاهُ) وأيضاً (بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ) ذلك لأنّهم نشأوا في حضن من جاء في شأنها قوله تعالى (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ)(الدخان/3) كمّا تؤكّد على ذلك الأحاديث ، وهي الكوثر يعني الخير الكثير الذي لا انقطاع له أعني الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام .

وأمّا السؤال الذي يطرح نفسه هو :

هل من الصحيح أن توصف البقعة وهي القطعة من الأرض أنّها مباركة ؟

جوابه واضح فهذا القرآن الكريم يقول:

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ..)(سبأ/18). وقال (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ..)(الإسراء/1).

فتتبارك البقعة باعتبار من يقطنها ويسكنها ولذلك نخاطب أهل البيت عليهم السلام (طبتم و طابت الأرض التّي فيها دُفنتم) ونقول (طاب منبتكم) واللطيف ما ورد في التهذيب (عن الصادق عليه السلام : شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو الفرات والبقعة المباركة هي كربلاء) وأيضاً (عن الصادق عليه السلام قال : إن بقاع الأرض تفاخرت ، ففخرت الكعبة على البقعة بكربلاء فأوحى الله إليها : أسكتي ولا تفخري عليها فإنّها البقعة المباركة التي نودي موسى منها من الشجرة .)

[1] رغم أنّ هذا طلب عظيم من الإمام عليه السلام ولكن كثرة جود الإمام و سخائه وعطائه تجعل الإنسان يطمع في الرحمة الواسعة ، في الزيارة الجامعة الكبيرة (وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ، وَعادَتُكُمُ الاْحْسانُ، وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ) ولا تنسى بأنّ الأنبياء العظام جميعاً يأتون لزيارة نبيّنا والأئمة عليهم السلام ، فكيف يستقبلهم الإمام؟ نريد من الإمام أن يستقبلنا بأفضل ما يستقبلهم ، بل قد ورد في دعاء يوم العيد (...وَاَنْ تُدْخِلَني في كُلِّ خَيْرٍ اَدْخَلْتَ فيهِ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّد).

ثمّ قبّل العتبة الشّريفة وادخل وقُلْ: بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ وَفي سَبيلِ اللهِ وَعَلى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [1] اَللّـهُمَّ اغْفِرْ لي وَارْحَمْني وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ [1]

---

[1] إنّ الله سبحانه لم يبدا سورة في كتابه الكريم إلا بعد ذكر اسمه تعالى، وهذا يؤكّد على أنّه من الضروري أن يبدأ الإنسان كلَّ عمل باسم الله سبحانه تعالى كما أنّه قد أمرنا سبحانه أن نذكر اسمه في موارد عديدة كما في قوله تعالى (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ)(الأنعام /118) وقوله :(اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)(العلق 1/) وقوله :(فَسَبِّحْ بِسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)(الواقعة /74)

وهناك أحاديث قد ورد فيها نفس هذا الذكر الوارد في إذن الدخول كحديث الإمام الصادق عليه السلام قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ، ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله).

كما أنّه ورد في واقعة الطف نصٌّ يتعلَّق بآخر لحظات سيد الشهداء عليه أفضل الصلاة والسلام عندما أصاب قلبه السهم المحدد:

(فوقف عليه السلام يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال ، فبينما هوواقف إذ أتاه حجر فوقع في جبهته فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه ، فأتاه سهم محدد مسموم له ثلاث شعب ، فوقع السهم في صدره فقال الحسين عليه السلام : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله).

فما هي المناسبة بين هذين الموردين وبين دخول المشاهد الشريفة ؟

أقول:علماً بأنّ المشاهد كما قلنا هي محلّ الشهود والوصول إلى مقام القرب الإلهي فالإنسان بارتباطه بالامام يصل إلى قمّة الشهود فهو الشهيد حقاً المتشحِّط بدمه في سبيل الله تعالى ،كما يستفاد من الأحاديث أيضاً .

وهذا ما يحتاج إلى شئ من التوضيح والشرح:

هناك ارتباط وثيق بين مقولات أربعة مقدّسة وهي: 1- الجهاد في سبيل الله. 2- الشهادة في سبيل الله . 3- إنتظار فرج الأئمة عليهم السلام . 4-زيارة الأئمة عليهم السلام.

فهذه المفاهيم وإن كانت في التعداد أربعة ولكنّها في الحقيقة واحدة وكلُّها تنطلق من منطلق واحد وتستهدف غاية واحدة ، فالمنطلق هو التوحيد والغاية هي القرب إلى الله تعالى والفناء فيه وهي حقيقة جنّة اللقاء على حدّ تعبير السيّد الإمام الخميني في تفسير الآية المباركة (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ،فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي)(الفجر27-30).

فانظر إلى حقيقة الجهاد وتدبَّر في قول أمير المؤمنين عليه السلام قال:(إنّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه) وفي نفس الوقت تأمَّل في الحديث الوارد في شأن سيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله:..(ألا وإنّ الحسين بابٌ من أبواب الجنة) ثمّ ارجع إلى ما شرحنا في معنى الباب وحقيقتة في بداية الكتاب، تستنتج أنّ بيوت النبي صلى الله عليه وآله و سلّم أيضاً هي الجنّة التي لها أبواب يدخل من خلالها المؤمن ويرتع في رياضها .

وهذا ما تدلُّ عليه الأحاديث بنحو صريح فمثلا ورد بالنسبة إلى تفاحة الفردوس فاطمة الزهراء عليها السلام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:(ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) وأيضاً بخصوص مشهد الإمام الرضا عليه السلام (عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: إن بخراسان لبقعة يأتي عليها زمان تصير مختلف الملائكة فلا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن ينفخ فى الصور، فقيل له: يا ابن رسول الله وأية بقعة هذه ؟ قال: هي بأرض طوس وهو والله روضة من رياض الجنة...)

إنطلاقاً من ذلك نقول إنّ الذي يدخل في حرمهم صلوات الله عليهم أجمعين فقد دخل الجنّة ووصل إلى مقام الشهادة فهو كالمتشحط بدمه في سبيل الله فلماذا لا يقول (بسم الله وبالله ... الخ) فقد ورد في فضل زيارة سيّد الشهداء عليه السلام (من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كان كمن تشحَّط بدمه بين يديه) كما أنّه ورد في شأن بعض الزيارات (من زار الحسين عليه السلام بهذه الزيارة كتب الله عزّ و جلّ له بكلّ خطوة مائةَ ألف حسنة و محا عنه مائة ألف سيئة و رفع له مائة ألف درجة و قضى له مائة ألف حاجة أسهلها أن يزحزحه عن النار و كان كمن استشهد مع الحسين عليه السلام حتّى يشركهم في درجاتهم) والجدير بالذكر أنّه قد ورد في خصوص هذه الزيارة قبل العبارة السابقة (ثمّ قم واخرج ولا تولِّ ظهرك وأكثر من قول إنّا لله وإنّا إليه راجعون حتّى تغيب عن القبر) والإسترجاع إنّما هو للبلاء الذي يبتلي به المؤمن في عصر غيبة الإمام المعصوم قال تعالى (وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ ، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة 154-157)

وقد ورد في الحديث:

((عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ لقيام القائم علامات تكون من الله عز و جل للمؤمنين، قلت: و ما هي جعلني الله فداك قال: قول الله عز و جل: و لنبلونَّكم يعنى المؤمنين قبل خروج القائم عجل الله تعالى فرجه بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الأموال و الأنفس و الثمرات و بشِّر الصابرين قال: نبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بنى فلان في آخر سلطانهم و الجوع بغلاء أسعارهم و نقص من الأموال، قال: كساد التجارات و قلة الفضل... إلى آخره))

فخلاصة القول أنّ هناك ارتباطاً وثيقا بين هذه المقولات الأربعة أعني الإنتظار والزيارةوالجهاد والشهادة .

وأمّا انتظار الفرج ففي الحديث (عن الحارث بن المغيرة قال كنّا عند أبي جعفر عليه السلام فقال العارف منكم هذا الأمر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد و الله مع قائم آل محمد صلى الله وآله وسلّم بسيفه ثم قال بل و الله كمن جاهد مع رسول الله صلى الله وآله وسلّم بسيفه ثم قال الثالثه بل و الله كمن استشهد مع رسول الله صلى الله وآله وسلّم فى فسطاطه .) وأيضاً (عن الفيض بن المختار قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من مات منكم و هو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم فى فسطاطه قال ثم مكث هنيئه ثم قال: لا بل كمن قارع معه بسيفه ثم قال: لا و الله الا كمن استشهد مع رسول الله (ص))

فزيارة الأئمة عليهم السلام شأنها شأن الإنتظار للفرج ، قد دخلت في ساحة أهمّ العبادات وهو الجهاد في سبيل الله وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حيث قال ((أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج))

ولو تأمّلنا في حقيقة الإنتظار من زاوية عرفانيَّة لاحظنا أنّ للانتظار أيضاً مستوى رفيع من العرفان والروحانيَّة حتَّى وصل المنتظر إلى مستوى الشهيد في سبيل الله .

(قال أمير المؤمنين عليه السلام : انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله ، فإن أحبَّ الأعمال إلى الله عزَّ وجل انتظار الفرج ... و المنتظرُ لأمرنا كالمتشحِّطِ بدمه في سبيل الله))

ذلك لأن الإنتظار يتطلّب رفض كلّ ما سوى الله و هذا الرفض ليس من السكوت المذموم الذي هو حالةٌ سلبيةٌ جوفاءُ تُعرقل الإنسان والمجتمع ، كلاّ ! بل هو حالةُ صراخٍ يرتفع دوّيه إلى أعماق الأرض وعنان السماء (ويكفيك نموذجاً سكوت عليٍّ عليه السلام طوال خمسة وعشرين سنة) وهذه الحالة هي الحالة التكاملية التّي تبني الإنسان وترفع من مستواه إلى الأعلى وتجعله يتكامل شيئاً فشيئاً من دون الوقوف عند حدٍّ .

هذه الروحية إن تركَّزت في الإنسان المؤمن فسوف تُعمِّق جذورَها فتزيل جميعَ الأشواك والموانع الصادَّة ، لتنشرَ فروعَها الطيِّبة وثمارَها الجنيَّة في السماء حتَّى تؤتى أكلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها .

إذاً لِمَ لا تكون هذه الحالة أفضل العبادة و أفضل الجهاد ؟

ولِمَ لا يصل هذا الإنسان المتحلِّي به إلى مستوى المتشحِّط بدمه في سبيل الله ؟

فما هو الأمر المتوقع من المجاهد في سبيل الله حين الجهاد ؟ وما قيمة المجاهد لولا النيّةُ الصادقة المنطلقة من رضا الله ؟

فالمنتظر الحقيقي هو الذي يتمنَّى في كلِّ صباحٍ ومساءٍ أن يعيش في ظلِّ ذلك المعشوق روحي لتراب مقدمه الفداء و لسان حاله :

(فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرداً قناتي ملبياً دعوةَ الداعي في الحاضرِ و البادي))

وهو بقربه إلى الله وشهوده مقامَ ربِّه صار كالشهيد متشحِّطاً بدمه في سبيل الله ، وليس للشهيد خصوصيةٌ كشخص بل الخصوصية والإعتبار لمفهوم الشهادة التي هي من القيم العالية الروحانية و تعني الوصول إلى الله وشهود وجه المحبوب ، والمنتظِر يؤدِّي نفس الدور حيث يشاهد وجهَ ربه وهو في نفس الوقت يعايش الناس .

والحديث التالي قد بيَّن السر الذي رفع مستوى الانتظار إلى هذه الدرجة:(عن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: تمتدُّ الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم و الأئمة بعده ، يا أبا خالد إنَّ أهل زمان غيبته والقائلين بإمامته المنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان لأن الله تعالى ذكرُه أعطاهم من العقول و الأفهام و المعرفة ما صارت به الغيبةُ عندهم

بمنزلةِ المشاهدة وجَعلهم في ذلك الزمان بمنزله المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله و سلَّم بالسيف، أولئك المخلصون حقاً و شيعتُنا صدقاً و الدعاةُ إلى دين الله سراً و جهراً)

وهذه الحقيقة قد انتشرت في زيارات الأئمة عليهم السلام خاصة الزيارة الجامعة حيث تقول (مُؤْمِنٌ بِإِيابِكُمْ، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ، مُنْتَظِرٌ لِاَمْرِكُمْ، مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ) .وفي موضع آخر (وَقَلْبى لَكُمْ مُسَلِّمٌ، وَرَأيى لَكُمْ تَبَعٌ، وَنُصْرَتى لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتّى يُحْيِيَ اللهُ تَعالى دينَهُ بِكُمْ، وَيَرُدَّكُمْ فى اَيّامِهِ، وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ، وَيُمَكِّنَكُمْ فى اَرْضِهِ)

فيا أخي المؤمن ويا أختي المؤمنة :

إذا أردت أن تزور إمامك ينبغي لك أن تكون عارفاً بحقّه ثمّ من منطلق الإيمان بالله وبرسوله وبخلفائه تخطو خطواتك وتقف في قبال حرمهم المطهَّر وأنت في غاية الذلّ فإنّ مشاهدهم هي الوادي المقدَّس في البقعة المباركة ، فلا تدخل هذه الأرض المقدَّسة لزيارتهم إلا :

أولاً : أن تتعرّف عليهم فإنّ الولاء والعشق لا يحصل إلا بعد المعرفة كما أنّه ينبغي أن تعرف أعدائهم فتعاديهم وترفض حكومتهم الباطلة فقد ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة (مُسْتَبْصِرٌ بِشَأنِكُمْ وَبِضَلالَةِ مَنْ خالَفَكُمْ، مُوالٍ لَكُمْ وَلِاَوْلِيائِكُمْ، مُبْغِضٌ لِاَعْدائِكُمْ وَمُعادٍ لَهُمْ، سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ)

ثانياً: تعرف مدى المصائب والمصاعب التي عانوها فيكون جلّ تفكيرك في إرجاع حقوقهم والأخذ بثأرهم مع إمام منصور من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وتفكّر دائماً في مصائب سيّد الشهداء عليه السلام حيث ضحّى بكل ما لديه في سبيل الحق فقتل مظلوماً وبالنتيجة سوف تبرز فيك روحيّة أخرى وهي:

ثالثاً : الجهاد في سبيل الله تعالى وأخذ الثأر من أعدائهم والإنتقام منهم حتى يحق الحق ويزهق الباطل فإنّ الباطل كان زهوقا.

رابعاً : لابدّ وأن تفكّر في أن تفدي بكلّ غال وثمين من أجلهم وأن تدعوا الله لأن يرزقك الشهادة تحت رايتهم .

خامساً : وأخيراً أنت ستكون من المنتظرين لأمرهم ودولتهم التي بها يملأ الله الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً ومن أجل ذلك نعرف السر فيما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة بعد الفقرة التَي مرّت (مُؤْمِنٌ بِإِيابِكُمْ، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ، مُنْتَظِرٌ لاِمْرِكُمْ، مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ، آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ، عامِلٌ بِاَمْرِكُمْ، مُسْتَجيرٌ بِكُمْ، زائِرٌ لَكُمْ، لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُمْ)

تلاحظ أيّها العاشق أنّ الإستجارة بهم وزيارتهم والعوذ بقبورهم إنّما ترتبت على انتظار أمرهم وارتقاب دولتهم .

وهل هذه المرتبة تليق بأي إنسان مهما كان؟

كلا ! لابدّ من الإستغفار والرجوع إلى الله تعالى وهذا ما ورد في آخر فقرة من إذن الدخول :

[1] ...فلا بدّ أن تطهّر روحك أيضاً بالإستغفار والإنابة والرجوع إلى الله تعالى فإنّه لا يمكن الإستئناس بالمطهّر إلا مع القلب الطاهر ، ولكن من ألطاف الله على العباد أنّهم بارتباطهم بالمعصومين عليهم السلام سوف تزول منهم بعض الشوائب المتبقية في نفوسهم كالماء القليل الذي تنجس بالمتنجس فبمجرّد أن ارتبط بالجاري أو الكرّ يتطهّر بالكامل وهذا شأن أهل البيت عليهم السلام فهم الماء الطهور الذي أنزله الله من سماء الأحدية وهم ماء الحياة الذي خلق الله منه كلّ شئ حي

قال تعالى (..وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ)(الأنبياء/30). وهم الرحمة الواسعة الإلهية الشاملة لكافة الموجودات والمستوعبة لجميع المخلوقات (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ

عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ...)(هود/7). وما العرش إلا قلب المؤمن وقد ورد في الحديث: (قلب المؤمن عرش الرحمن) وفي الحديث القدسي (لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن) ولذلك نخاطب الحجّة عجّل الله فرجه (السلام عليك يا عين الحياة السلام عليك يا سفينة النجاة)

قال تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ)(الملك/30). والماء معين: وهو الماء الذي يرى بالعين ومن الواضح أنّ الماء الغائر الذي لا يرى بالعين هو أفضل من الماء الطافح ، فماذا تعني هذه الآية إذن ؟ قد فسَّر أئمتنا عليهم السلام هذه الآية المباركة وإليك حديثين :

1-(عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجل : قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين قال : أرايتم إن أصبح إمامكم غائباً فمن يأتيكم بإمام مثله)

2-(عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : " قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين " فقال : هذه نزلت في الإمام القائم يقول : إن أصبح إمامكم غائبا عنكم لاتدرون أين هو ؟ فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السماوات والأرض وحلال الله وحرامه ، ثم قال عليه السلام : والله ما جاء تأويل هذه)

ولعلّ قوله (وارحمني) إشارة إلى قوله تعالى :

(..وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)(البقرة/286).

فلا تتنتشر الرحمة الواسعة على العباد إلا بعد أن ينتصر الحق على الباطل ويرجع الحق إلى أهله وذلك بخروج الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف .

إنّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً

وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين

انتهيت من تدوين الكتاب يوم 2006/6/29

الموافق : يوم شهادة الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليه السلام

عاشق أهل البيت عليهم السلام وخادمهم

إبراهيم الأنصاري

البحرين–المنامة